الملحمة المستحيلة

بسم الله الرحمن الرحيم

مركز براهين لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية

الملحمة المستحيلة

إشكاليات الاستدلال بسجل الحفريات على التطور

أحمد يحيى

الملحمة المستحيلة

إشكاليات الاستدلال بسجل الحفريات على التطور

سلسلة (مجلة براهين)

تأليف: أحمد يحيى

مراجعة لغوية: ريم عمر

الطبعة الثانية: أكتوبر ٢٠١٦
مقاس الكتاب: ١٤*٢٠
عدد الصفحات: ١٢٨
رقم الإيداع: ٢٦٩٣٧/ ٢٠١٥
الترقيم الدولي: ٦-٠٧-٦٥٤٥-٩٧٧-٩٧٨

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر (مركز براهين)، وإنما بالأحرى عن وجهة نظر المؤلف.

مركز براهين للأبحاث والدراسات
أرقام المبيعات: ٠١٠٦٤٨٠٠٩٤(٠٠٢) – ٠١٠١٥٥٧٧٤٦٠(٠٠٢)
بريد المبيعات: sales@braheen.com
صفحات المبيعات: braheen_books braheen.bookstore

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، ويشمل ذلك التصوير الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مضغوطة أو استخدام أي وسيلة نشر أخرى، بما في ذلك حفظ المعلومات واسترجاعها، دون إذن خطي من الناشر.

All rights are reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without prior permission of Publisher.

Braheen Center for Research and Studies, Ltd.

«سلسلة مجلة براهين»

دورية فصلية تصدر عن «مركز براهين» لدراسة الإلحاد من منظور علمي فلسفي شرعي، وتشتمل على أبحاث ومقالات متنوعة في مختلف التخصصات العلمية والفلسفية. نسعى من خلالها لتقديم مادة بحثية ودراسات أكاديمية محكمة -مع أعلى قدر ممكن من التوثيق- لتسهم نوعيا في نقد أصول ومظاهر الإلحاد الحديث؛ نقدًا منهجيا مركزا على الأطروحات الأساسية، مع مراعات المستويات المختلفة للقراء وأبعادهم النفسية.

لتفاصيل أكثر، أو لتحميل أعداد المجلة بصيغة إلكترونية، يرجى زيارة موقع المركز:

www.braheen.com/magazine

«مركز براهين» لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية هو مركز بحثي مستقل، يعمل كمؤسسة غير ربحية مرخصة في لندن بالمملكة المتحدة، ويُعنى فقط بالعمل في المجال البحثي الأكاديمي لتوفير إصدارات متعددة (كتابية - مرئية - سمعية) على درجة عالية من الدقة والموضوعية والتوثيق يسعى من خلالها لتحقيق رسالته.

• رؤية المركز: عالم بلا إلحاد.

• رسالة المركز: المساهمة النوعية في تفكيك الخطاب الإلحادي ونقد مضامينه العلمية والفلسفية وأبعاده التاريخية والأخلاقية والنفسية والاجتماعية وبناء التصورات الصحيحة عن الدين والإنسان والحياة ومعالجة النوازل العقدية انطلاقاً من أصول الشريعة ومحكمات النصوص كل ذلك بلغة علمية رصينة وأسلوب تربوي هادف.

BRAHEEN
CENTER
for Studying Atheism
and Contemporary Issues of Faith

27 Old Gloucester Street, London,
United Kingdom, WC1N 3AX

• سياسة المركز: يعمل المركز بشكل أساسي على نقد أصول ومظاهر الإلحاد الحديث نقدا منهجيا، مع مراعاة البعد النفسي للمتلقين بمختلف فئاتهم، والحرص على تركيز النقد على الأطروحات الأساسية للخطاب الإلحادي الحديث. كما تنتهج مخرجات المركز أساليب الإفحام، والنقض، والدفاع وكذلك أساليب البناء والإقناع والهجوم وتقديم البدائل قدر الإمكان. وتنحصر مخرجات المركز بشكل رئيسي في ثلاثة مجالات عريضة: علمية، فلسفية، شرعية.

الموقع الرسمي: www.braheen.com

للتواصل والاستفسارات العامة: info@braheen.com

للتواصل مع المدير التنفيذي: ammar@braheen.com

فيسبوك: fb.braheen.com
تويتر: t.braheen.com

يوتيوب: y.braheen.com
انستجرام: i.braheen.com

الملحمة المستحيلة

إشكاليات الاستدلال بسجل الحفريات على التطور

مقدمة

مرة أخرى، نعود لنشارك أنصار التطور رحلتهم الشاقة تنقيبا عن الحلقات المفقودة، ونتابع واحدة من أكثر قصص التطور شهرة وغرابة، والتي تعد من الأحداث الكبرى في تاريخ التطور، نعود لنلقى نظرة مختصرة على أحد أهم فصول هذه القصة.

من خلال هذا الطرح نرصد تأريخ السجل الأحفوري لذلك الحدث الملحمي الذي يحكى لنا كيف تطورت وحوش اليابسة، التي كانت تسير على أربع، إلى وحوش البحار المهيمنة (**الحيتان**).

قصة تطور الحوت

الحيتانيات –الحيتان والدلافين– هي إحدى أضخم الثدييات، لكنها خلافا لمعظمها –التي تعيش على الأرض– تعيش حياتها كاملة في الماء، مع ذلك فهي ليست من الأسماك.

كان محتما على أنصار التطور حل تلك المعضلة، ووضع السيناريو الخاص بكيفية تطور هذه الثدييات وانتقالها إلى البحر مرة أخرى، بعدما غادرته قديما. لذلك افترض الطرح التطوري أن الحيتان ككل الثدييات تطورت من الزواحف، والتي تطورت بدورها عن البرمائيات، التي غادرت هي الأخرى المحيطات بعدما تطورت عن الأسماك، وذلك من حقب زمنية سابقة، حيث تركت الزواحف –أسلاف الثدييات– البحر منذ حقب زمنية سحيقة في تاريخ التطور، ونمت لها الأرجل، وكساها الفراء وتطورت الرئتان.

الأعجب هنا، هو إصرارها مرة أخرى على العودة إلى البحر، وذلك في حدث ملحمي استثنائي، لتفقد أرجلها وفرائها، وتبقي على رئتيها ونظام تكاثرها رغم هذه التحولات الجذرية التي طالت بنيتها.

ولدعم هذا الطرح، كان على أنصار التطور تقديم الأدلة والتنقيب في طبقات الأرض القديمة بحثا عن تسلسل انتقالي زمني

بسجل أحفوري لأسلاف منقرضة كانت تسير على الأرجل، تظهر تدرجا وأشكالا وسيطة بين ثدييات الأرض وثدييات البحر، لكن ملامح ذلك السلف الأرضي القديم للحيتان ظلت شبحية برغم الافتراض السابق لداروين في مصنفاته —على استحياء— أنه كان دبا.

ولم تتكشف ملامح قصة تطور الحوت إلا بحلول عام ١٩٦٦، حين قام عا لم الأحافير فان فالين Van Valen أثناء فترة عمله بمتحف نيويورك للتاريخ الطبيعي برصد بعض التشابهات بين عظام مجموعة من آكلات اللحوم المنقرضة المسماة بوسطية الحوافر Mesonychids مع أحافير وعظام الحيتان Cetacea.

هذه الحيوانات المنقرضة الشبيهة بالذئاب والمسماة بـ(Mesonychids) امتلكت أسنان ثلاثية شبيهة بتلك التي في

الحيتان المعاصرة، واستنتج فالين من تلك المشاهدة أن الحيتان انحدرت منها.[١]

منذ ذلك الحين توجهت بوصلة أنصار التطور وعلماء الأحافير للبحث في ذلك الاتجاه الذي اقترحه فالين عن عظام أسلاف الحوت، التي تمتلك صفات مورفولوجية (هيكلية– تشريحية) مرتبطة بمجموعة وسطية الحوافر Mesonychids، وكان رائد البحث في هذا الاتجاه هو عالم الأحافير جنجريتش Gingerich، المتخصص ببحثه عن أسلاف الحوت، والذي بدأ رحلته في البحث خلال عقد السبعينيات من القرن المنصرم، واستمر لأكثر من عقدين في رسم الأطر العامة لسجل تطور الحيتان وتبعاته، وتزامنت معه كشوفات حفرية أخرى ودراسات متعددة لعلماء أخرين، والتي نتج عنها تأطير للخطوط العريضة لذلك المسار عبر سجل أحفوري مفترض، اصطفت خلاله سلسلة كاملة من الحيوانات المنقرضة واحدا بعد الآخر في تتابع زمني، وفقا للفترات الجيولوجية التي كانوا يعيشون فيها، ووصفت بأنها أشكال انتقالية متسلسلة بين الثدييات البرية والثدييات المائية بالكامل على نحو ما، كما يظهرها المخطط التالي.

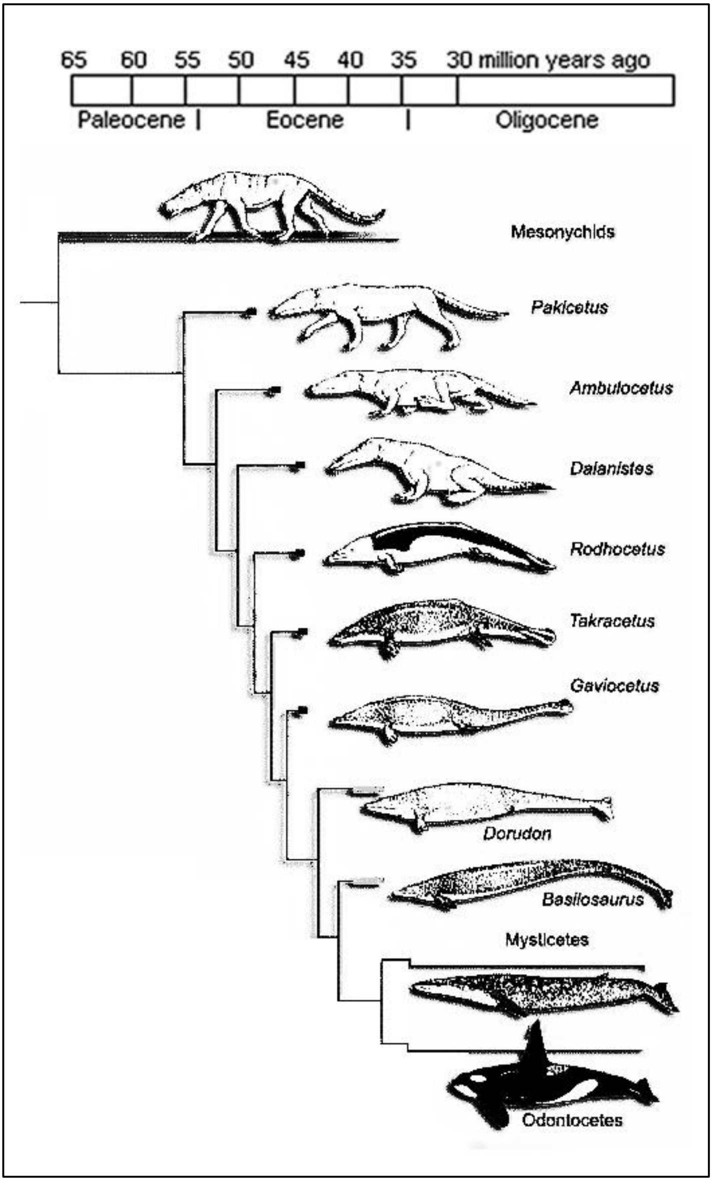

65 60 55 50 45 40 35 30 million years ago
Paleocene
Eocene
Oligocene
Mesonychids
Pakicetus
Ambulocetus
Dalanistes
Rodhocetus
Takracetus
Gaviocetus
Dorudon
Basilosaurus
Mysticetes
Odontocetes

باكيسيتوس Pakicetus **الأرضية بالكامل**	قبل **٥٠** مليون سنة
أمبيلوسيتوس Ambulocetus **شبه المائية**	قبل **٤٩** مليون سنة
Rodhocetus Protocetid **شبه المائية**	قبل **٤٦** مليون سنة
باسيلوسورس Basilosaurus **المائية بالكامل**	قبل **٣٧** مليون سنة

هكذا يحكى التطور قصة تحول الحوت بمخططات رائعة وقصة مثيرة، وهذا النوع من القصص يروقنا جميعا.

لكن دعونا نتعمق مع تلك القصة بجرعة أكبر من الإثارة، ونحاول إلقاء نظرة مدققة على هذا المقترح الذى يسجله السجل

الأحفوري كعنصر وحيد للطرح، ولا ضير من أن نفتح أثناء عروجنا داخل أعماق تلك القصة أكثر من نافذة، نرى من خلالها مغالطات متأصلة وعامة في أصل المنهج التطوري، وقبل أن نبدأ بعرضنا هذا، أعدوا لأنفسكم فنجانا من القهوة وانعشوا ذاكرتكم ببعض التركيز لمتابعة تسلسل الأحداث.(٢)

الإشكالية الأولى: هل سجل الحفريات دليل على التطور؟

عنوان الإشكالية السابق يطرح سؤالا بدهيًّا يتعلق باستعراض كفاءة الأحافير كدليل على السلف المشترك، بالتالي على صحة الاعتقاد في التطور الدارويني ككل، والإجابة عليه كفيلة وحدها بتحديد مصير الاستناد إلى تلك الدلالة.

إنَّ الإجابة عن هذا السؤال يمكن توضيحها بمثال بسيط للغاية؛ لنفرض أننا وجدنا أحفورة لكائن ما، فإن الحقيقة الوحيدة التي نستطيع تأكيدها على وجه اليقين من خلال رصد تلك الأحفورة هي أنها كانت لكائن حي —مات ودفن— في هذا المكان، فيما عدا ذلك لا توجد أيّة وسيلة لدى أيٍّ من العلماء تؤكد يقينا أن هذه العظام التي وجدت مدفونة تمثل سلفا أو جدًّا لأى كائن حي آخر بمجرد رصد بعض التشابهات بينهما؛ لأنه فضلا عن استحالة تأكيد افتراضية السلف المزعوم تلك، فإن التشابهات المورفولوجية (التشريحية/الهيكلية) التي يُستند عليها في تأكيد مدى قرابة الأحافير لا تدل حتما على أي قرابة مزعومة، وهذه الإشكالية يدركها أنصار التطور جيدا، وإلا لأصبح هذا الذئب الأسترالي الجرابي قريبا من الدرجة الأولى لنظيره الذئب الرمادي المشيمي وفقا لهذا التطابق المذهل في المورفولوجي.

لكن الحقيقة أن الذئب الرمادي هو أقرب **تطوريا** للفيل والأرنب والإنسان، من هذا الذئب الجرابي، الذي يعتبر هو الآخر أكثر قرابة للكنغر والكوالا والسنجاب الأسترالي الطائر، عن مدى قرابته للذئب الرمادي التوأم التشريحي له. وذلك وفقا لما رسمته شجرة التطور؛ حيث افترضت انفصالا تطوريًّا بين أسلاف كل من الجرابيات والمشيميات في فجر نشوء الثدييات، منذ ما يقارب ١٦٠ مليون سنة مضت، وتكرر رصد مثل هذه التوائم المورفولوجية بين الجرابيات والمشيميات بنسبة عاتية، مقارنة بعدد الجرابيات المعدود على سطح كوكبنا.[٣]

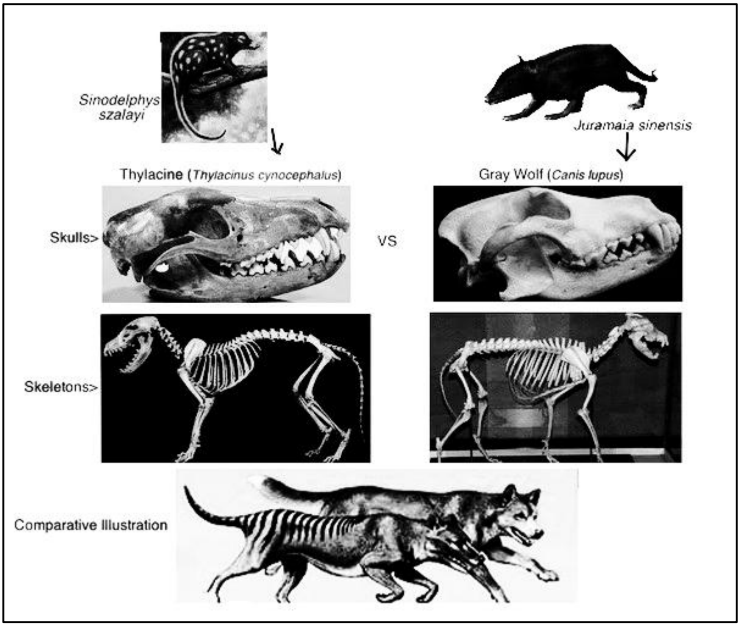

تلك التوائم المتماثلة التي لا يمكن ربطها بسلف مشترك –بمعايير التطور–لم تقتصر على فئتي الجرابيات والمشيميات فحسب، بل تم رصدها على كافة المستويات التصنيفية داخل الممالك الأحيائية، ورصدت أيضا تشابهات بالغة التعقيد على النطاق الجزيئي، كما تم رصدها على النطاق المورفولوجي.

وقد تناولت في طرح سابق جزءًا يسيرًا منها، متعلقًا بتوائم الجرابيات والمشيميات، والذي سنتبعه لاحقا –إن أذن الله تعالى– بمنشورات أخرى، نعرض فيها أمثلة كثيرة مدهشة ومتنوعة من التماثل المعارض لشجرة التطور، تشمل كافة المستويات التصنيفية، مورفولوجيا وجزيئيا، وكيف كانت ردة فعل أنصار التطور في مقابل تلك الإشكالية، واعتراف البعض منهم ممَن واتتهم الجرأة على نقض الدوجما التطورية، والخروج خارج الإطار المعتاد، مما يمثل تهديدا لمصداقية شجرة التطور، وتداخل البيانات بين ما يعدونه تشابها ناتجا عن سلف مشترك، وآخر غير مرتبط بسلف.(٤)

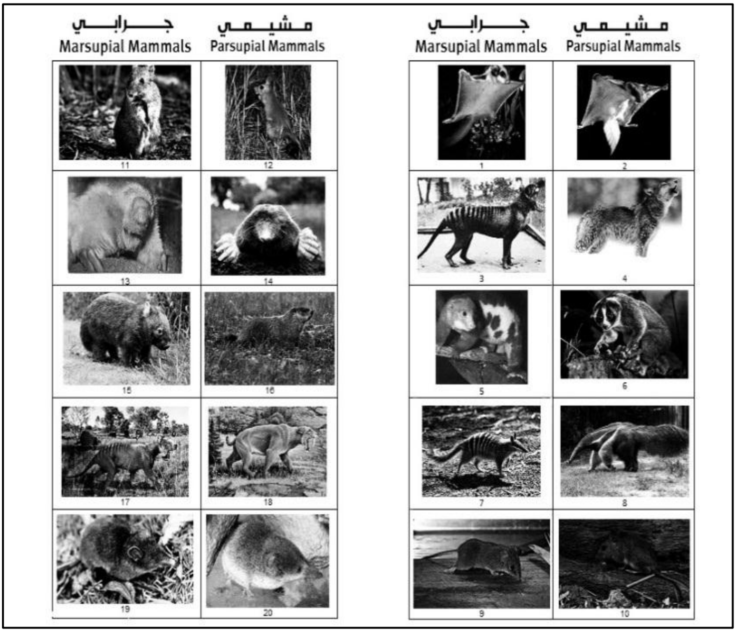

للخروج من المأزق

مثلت الإشكالية السابقة تحديا لأنصار التطور لا يمكنهم تجاوزه؛ ذلك لأنها تطعن مباشرة في أصل الاستدلال بالتشابه بين الأنواع على السلف المشترك، لأن ذلك التشابه (المورفولوجي والجزيئي) الذي يعد الدليل الأوحد على التطور يعطي دلالة معاكسة تماما، كما أظهرت الأمثلة الأخرى سالفة الذكر تماثلات خارج إطار السلف المشترك، لذا لجأ أنصار التطور إلى الالتفاف غير المباشر حول هذه الإشكالية بسلوك المنطق الدائري، والادعاء أن تلك التشابهات التي تتعارض مع قواعد

شجرة الأنساب الافتراضية هي في الحقيقة غير مرتبطة بسلف تطوري، أي أن كلا النوعين اللذين أظهرا هذا التماثل قد سلكا طريقين منفصلين تماما في التاريخ التطوري لإنتاج نفس الهياكل المتماثلة أو نفس التشابه الجزيئي، وأطلقوا على هذه الفرضية convergent evolution، كواحدة من فرضيات الخروج من المأزق. ما تم هنا في الحقيقة ما هو إلا إعادة توصيف لمشاهدة تطعن في أصل فرضية التطور، ولي عنق القاعدة –التي قعدوها لأنفسهم–، بل وكسره لتوافق البِراديم Paradigm أو الإطار التطوري الذي لا يجوز الخروج عليه.

لكن الخطأ المنهجي في هذه الفرضية هو الالتجاء لمغالطة منطقية جلية؛ وهي المصادرة على المطلوب، بجعل المطلوب إثباته –أو النتيجة المرجو الوصول إليها (التطور)– ومقدماته أو إحداها –التي يجب الاستدلال عليها (التشابه)– شيئا واحدا. والمغالطة المنطقية تحصل هنا حينما يتم افتراض صحة النتيجة التي يراد البرهنة عليها في المقدمات سواء بشكل صريح أو ضمني، وحين يتم الاستدلال بالنتيجة المرجو الوصول إليها كحقيقة أولية لبناء هذا الافتراض.[٥]

وبدلا من إعادة ذلك الاستقراء الناقص المبني على دلالة التشابه بين الكائنات كدليل حتمي على وجود سلف مشترك، بسبب وجود

ما ينقضه من معطيات مختلفة لا تؤيد هذا الاستقراء، توجهوا مباشرة الى بناء فرضية convergent evolution اعتمادا على أن التطور حقيقة، وقد عرفنا تلك الحقيقة من التشابه بين الكائنات!

لاحظنا بوضوح تجلي المنطق الدائري Circular reasoning الذي لا ذيل له ولا رأس، ولا نستطيع التفريق فيه بين المقدمات والنتائج. فحين يكون من المفترض أن تتصدر التشابهات طرائق الاستدلال على صحة التطور والاشتراك في سلف مشترك، وتقدم على أنها من أكثر دلائل دعم التطور، فإنه يصبح كافيا جدا لإسقاط هذه الدلالة رصد تضاربا يناقضها، ويؤكد أن التشابه لا يدل على سلف مشترك. لكن بدلا من ذلك لجأ أنصار التطور إلى اختراع فرضية التطور المتقارب convergent evolution، التي بنوها على التسليم بصحة التطور.

لكن لا تلبس تلك الدائرة أن تنكسر، فيفاجئنا رونالد ويست Ronald R. West عالم الجيولوجيا التطوري الشهير، ويجرؤ على الإقرار

المباشر بالأخطاء المنطقية الفجة تلك في الاستدلال بسجل الأحافير، قائلا:

"على عكس ما يكتبه معظم العلماء، فإن سجل الحفريات لا يدعم نظرية التطور الداروينية؛ لأنها تلك النظرية (بمختلف إصداراتها) هي التي نستخدمها لتفسير السجلات الحفرية. لذلك فنحن مدانون بالوقوع في استدلال دائري حينما نقول أن السجل الأحفوري يدعم هذه النظرية".[٦]

ويمكنك عزيزي القارئ تلخيص المشهد السابق في كلمات بسيطة للغاية هي: التطور حقيقة، لأن التطور حقيقة!

هذا ما يقوله التطوريون بلسان حالهم، بل ربما يقره البعض بصيغة أكثر تحايلا حين يواجه مثل هذه الإشكاليات المنهجية فيقول: التطور حقيقة مثبتة مفروغ من صحتها، لكن البحث في آلياته وطرائقه مازال مستمرا ومفتوحا. لكن الإشكال هنا: كيف يثبت التطور أصلا بدون ثبوت فرضية السلف المشترك؟

بذلك المنطق الدائري الهزيل يتمكن أنصار التطور من تجاوز أي تضارب يعرض أمامهم، فتستخدم دلالات التطور حسب الحاجة،

وتعطل أيضا حسب الحاجة، ليذكرونا بتلك الحكاية القديمة من عهود جاهلية العرب، حين يصنع الرجل أصناما ومجسمات من العجوة لألهته التي يعبدها، ويظل عليها عاكفا بالتضرع، حتى إذا جاع أكلها.

نخلص من التفصيل السابق بوضع الإطار العام للتعامل مع كافة الأمثلة التي يُستخدم فيها سجل الأحافير كدليل يثبت صحة التطور، وهو أن التشابه المورفولوجي البنيوي الذي تظهره بعض العظام الأحفورية مع عظام كائنات أخرى، سواء كانت حية أو منقرضة، لا يمكن تصديره كدليل على صلة قرابة حتمية أو أي تطور مزعوم من سلف قديم، فنفس التشابه نجده بين عظام كائنات حية لا يمكن إدراجها في إطار شجرة أنساب مشتركة كما أسلفنا الذكر في المثال السابق.

هذا إن تجاوزنا عدم قدرة سجل الحفريات على تقديم دعم حقيقي لفرضية التشابه من الأساس، فالفقر الحاد في تلك السجلات يجعل تقديم البيانات اللازمة للمقاربة المورفولوجية المطلوبة أمرًا في غاية الصعوبة، فلا تتوافر لدينا الأنسجة الرخوة، ولا غالبية أجزاء الجسد، ويمكننا ببساطه أن نوضح ذلك بمثال عملي حي:

لنفترض أن (الذئب التمساني الجرابي) و(الذئب الرمادي

المشيمي) قد انقرضا منذ وقت طويل، قبل أن نتمكن من رؤيتهما أحياء، وتم اكتشاف أحافير عظمية خاصة بهما، فإنه مما لا شك فيه أن التعريف الخاص بالتطور سوف يؤكد وجود صلة قرابة وثيقة بينهما في شجرة التطور، بسبب هذا التطابق المذهل في تركيب الهياكل العظمية، لكن الهيكل العظمى رغم اكتماله لا يعطي أي تصور حقيقي لنظام التكاثر، سواء كان جرابي أو مشيمي، فكلاهما يمتلك نظام تكاثر خاص مختلف تمامًا عن الآخر، ولا توجد بينهما أيّة صلة!

لذلك فالأمر يزداد تراكبا وتعقيدا، فالإشكالية لا تنتهي عند إسقاط دلالة التشابه بين الحفريات كدعم للتطور بسبب وجود دلالات عكسية فحسب –كما بينا بأمثلة التماثل أو ما أطلق عليه التطور المتقارب كتعريف مضلل وموهم–، لكن تتعداه إلى الفقر الحاد في دعم الأحافير لتقديم بيانات يمكن الاستناد عليها لعقد هذه المقاربة المطلوبة من الأساس.

لنتخطى تلك الإشكالية، التي نعتبرها أيقونة في نقد الكثير من دلالات التطور، وندخل مباشرة إلى عرض أطروحة التطور الخاصة بموضوعنا حول قصة أسلاف الحوت.

ملخص ما سبق

لكن قبل أن نغادر نضع ملخصا مختصرا لما تم تناوله في هذه الإشكالية من نقاط:

١) الاستدلا الدائري وتناقض دلالات التشابه المورفولوجي يسقط حُجية الأحافير على التطور والسلف المشترك.

٢) الفقر الحاد في البيانات التي يمكن أن تقدمها الحفريات في مقارنة الخلايا الرخوة التي لا يمكن تحجرها.

الإشكالية الثانية: هل تبدو النماذج الانتقالية المعروضة والرسوم تمثيلا حقيقيًا للأحافير التي عثر عليها؟

الخطوة الأولى بعد العثور على عظام ما لأحفورة ما، هي توصيف هذه العظام بدقة، وذلك بواسطة فريق مختص، والعمل على ترميم وبناء شكل نهائي يمثل الحيوان الكامل، هذا إن توفرت العظام الكافية لذلك بشكل يضمن رسم صورة تخيلية يُظن أنها الأقرب إلى الواقع. فهل هذا ما تم حقا؟

للإجابة على تلك الإشكالية، لنرى كيف تعامل أنصار التطور مع الحفريات التي تم العثور عليها وكيفية ترميمها، وسننطلق من بداية تسلسل الحلقات الانتقالية كما بمخطط التطور من الجد الأول، حتى وصول أسلاف الحوت إلى الحياة المائية الكامل.

أولا: باكيسيتوس Pakicetus

في عام ١٩٨٣، أثار فيليب جنجريتش ضجة إعلامية بزعمه اكتشاف حفرية لأحد الأسلاف الأولى للحيتان، والذي عرف باسم الحوت الباكستاني (باكيسيتوس Pakicetus). ادعى جنجريتش أنه كان حيوانًا وسيطًا بين حيوانات اليابسة والحيتان، وأنه الحلقة الانتقالية الأولى لهذا التحول.

احتفت مجلة **العلوم** Scince العلمية المرموقة بهذا الاكتشاف، وتصدرت أغلفتها رسومًا كاملة لذلك الحيوان، حيث يمتلك ساقين بهما أغشية كالزعانف، ويقوم بمطاردة الأسماك كحيوان بحري صياد.(٧)

SCIENCE
AMERICAN ASSOCIATION FOR THE ADVANCEMENT OF SCIENCE

لكن إلى أي دليل استند جنجريتش في ترميم وصنع هذا المخطط الكامل؟ فكل ما يمكننا قوله هو أن الأدلة الأحفورية المتاحة لديه في هذا الوقت تألفت فقط من بعض شظايا الجمجمة؛ (جزء صغير في الجمجمة، وعدد قليل من الأسنان، وجزء صغير من الفك)، هذه هي المعطيات الحفرية التي ادعى من خلالها أنصار التطور أنها مثلت جد الحيتان في وقت مبكر في العصر الأيوسيني، وذلك بناءً على رصد بعض التشابهات في قمة الأسنان مماثلة لوسطية الحوافر المنقرضة Mesonychids –التي اعتقد **فالين** أن لها علاقة وثيقة بالحيتان الحديثة–، وبعض التشابهات في أجزاء من الجمجمة.

لكن بعد الفحص الدقيق للبيانات، لا زلنا نتساءل بدهشة لماذا تم اقتراح هذه العينة لأن تكون أي شيء. ظلت هذه الفكرة السائدة عن شكل باكيسيتوس لفترة؛ يحتفى بمخططه الكامل كما رسمه جينجريتش دون أن يُقدم أحد من أنصار التطور على الاعتراض البديهي السابق. لكن بحلول عام ٢٠٠١، قام الخبير البارز بأحافير الحيتان **هانز ثيوسين J. G. M. Hans Thewissen** صديق جينجريتش وزميله حسين وفريقهما بإعادة إعمار أكثر حداثة، اعتمدوا فيها على اكتشافات لأكثر عظام الحيوان باكيسيتوس، ونشرت مجلة نيتشر ذلك الكشف.

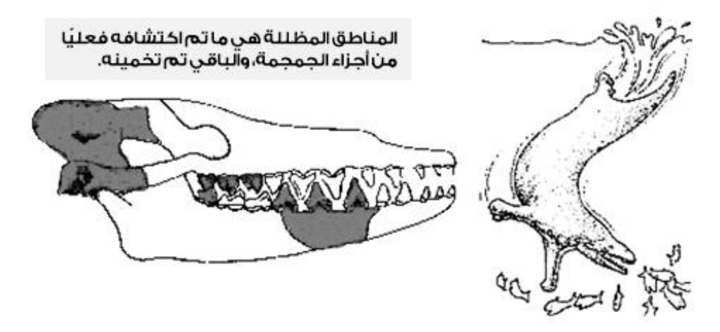

على اليسار: ما تم إيجاده بالفعل من بقايا عظام
على اليمين: الرسم التخيلي للحيوان بالكامل كما
نشرتها مجلة جينجريتش عام ١٩٨٣.

مع إعادة ترميم أكثر معقولية تمت على تلك العظام وبعد إيجاد حفريات جديدة له، كانت المفاجأة أن المخطط الجديد كان لحيوان بري كامل لا يشبه الأول في شيء.

وأكد ثيوسين في نفس الورقة إلى أن تلك العظام تشير بوضوح إلى ثدييات برية بالكامل، بل وتظهر السمات التشريحية لعظام تحت القحف أن الحيوان كان من العدائين، ولم تلامس أقدامه إلا اليابسة.[٨]

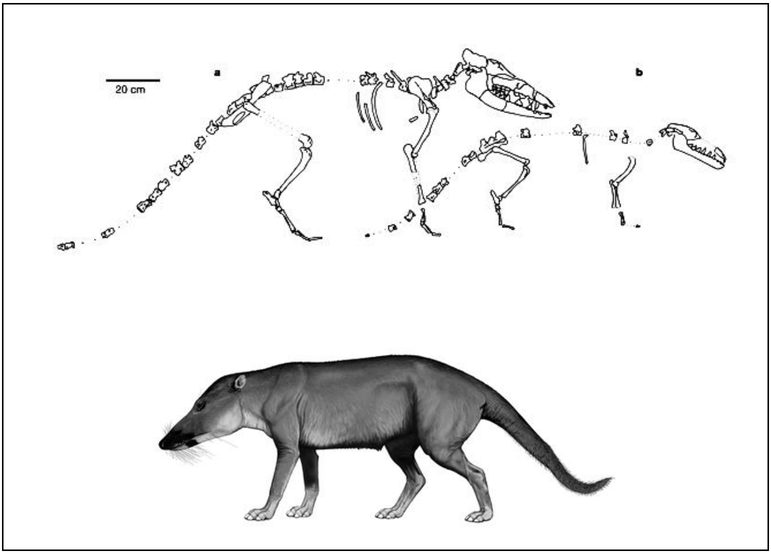

ربما نلتمس عذرا لجينجرتش في التجائه لهذه الرسوم المضللة في عام ١٩٨٣، بسبب إحباطه وملله من البحث عن شيء ذي قيمة لسنوات عديدة، فكانت بعض شظايا الجمجمة التي تبدي بعض التشابه مع عظام الحوت كفيلة بصنع أسطورة الحوت الأول الصياد، لذلك لجأ إلى الخيال، ولم يتورع عن فعل ذلك؛ لأنها كانت سمة ظاهرة في تحليل أنصار التطور لعظام الأحافير، ومثل هذه الحوادث متكررة في كثير من المخططات الموهمة المتداولة، التي تم بناؤها على حفريات غير مكتملة، لكن هناك نوعًا آخرَ من التزييف الخفي المتعمد، التجأت له دوريّات حديثة، حتى بعد إعادة إعمار أكثر حيادية للأحفورة،

مثلما فعلته المجلة العريقة والأكثر شعبية (ناشيونال جيوجرافيك National Geographic) في تصويرها لمخططات الحفريات بعد إعادة إعمارها.(٩)

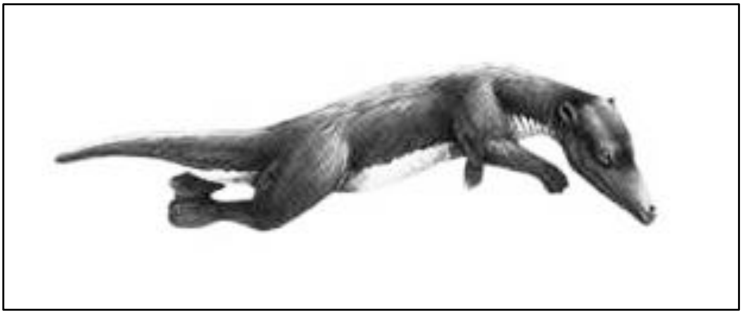

حيث نجد في المخطط نوعا من الإيحاء والإيهام المتعمد لتمرير فكرة سلف الحوت، فالتجأ الناشر إلى تدليس الفنان باستخدام صورة لباكيسيتوس في وضع السباحة، مع ذيل مكتنز انسيابي كذيل السمكة، وأرجل قصيرة نسبيّا، رغم أنه حيوان برى كامل، ويلاحظ أيضا أن الرسوم تظهر الساقين الخلفيتين ممددتين إلى الوراء؛ لتعطي انطباعا أنها تعمل مثل الزعانف.

ثانيًا: أمبيلوسيتوس Ambulocetus

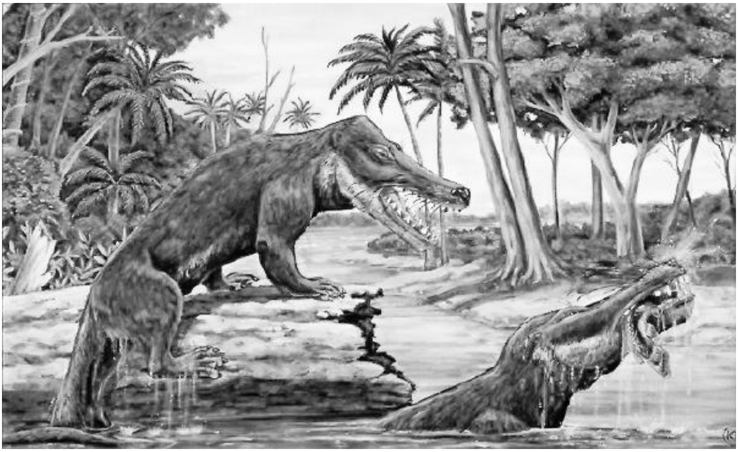

الحفرية الثانية تدعى أمبيلوسيتوس Ambulocetus، التي وجدت عام ١٩٩٣ في باكستان، وادعى مكتشفه ثيوسين وآخرون أن هذه العظام كانت لأحد أسلاف الحوت، في حجم ذكر أسد البحر، الذي كان يمشي على أرجل، وكانت أرجله الخلفية بمثابة الأرجل على الأرض، والمجاديف —الزعانف— في المياه، مما يشير للاعتقاد بأن هذا المخلوق قد تمكن من المشي على الأرض، وكذلك السباحة. مرة أخرى تدعى حاجة أنصار التطور لإثبات نظرية تطور الحوت إلى نشر ورقة أقل ما توصف به أنها تخمينية بامتياز، لكنها مرّت على هيئة التحكيم دون الإشارة إلى عوز تلك الورقة إلى أي استنتاج خارج إطار التخمين غير المعتمد على أية معطيات فعلية.(١٠)

لنختبر حقيقة القصة!

بالنظر إلى العظام التي وجدت لهذا الكائن المنقرض، فإن أول ملاحظة يمكن رصدها مباشرة في الكشوف الأولية هي أن الهيكل العظمي أيضا غير مكتمل، ويفتقد الأجزاء الهامة والجوهرية التي بُني عليها هذا الرسم التخطيطي للكائن البرمائي، والتي لا يمكن تصميم أي مخطط بدونها؛ لأنه يلزم لإنشاء وظيفة الساق الخلفية وترميمها تواجد عظام منطقة الحزام الحوضي pelvic girdle، لكنها مفقودة تماما في العظام التي عثر عليها.

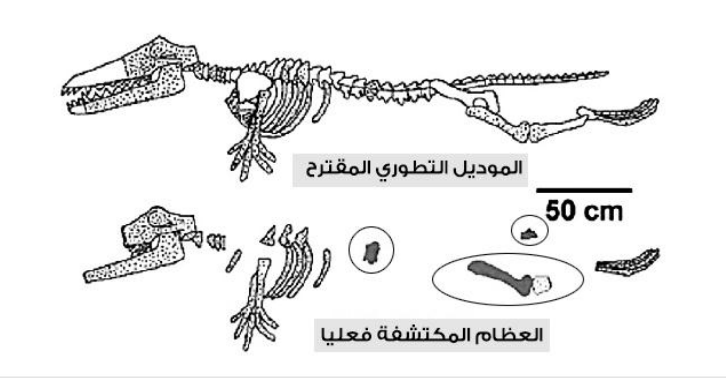

* العظام التي عليها التحديد تم اكتشافها في طبقة تعلو الطبقة المكتشف بها باقي العظام بخمسة أمتار.

وتم الترويج لهذه الرسوم التخيلية أيضا في كتب التدريس رفيعة المستوى، من قبل الأكاديمية الوطنية للعلوم. لاحظ الخيال المستخدم

في الرسم، بما في ذلك أغشية وشبكات بين الأقدام.(١١)

حتى (**كينيث ميلر**) كان له أيضا نصيب في نشر هذا التزييف بصورة مباشرة، حين استخدم هذه الحفرية كأيقونة مهمة للتطور في كتابه Finding Darwin's God، حيث زعم أن هذا الحيوان يمكن أن يتحرك بسهولة سواء في البر أو في الماء.

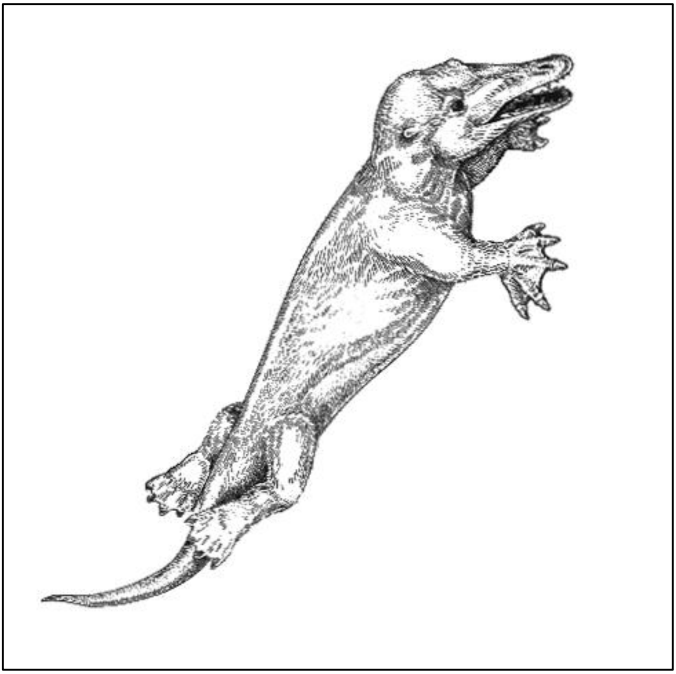

وكالعادة، (**ناشونال جيوجرافيك**) كان لها نصيبها المماثل من التلاعب والخداع البصري في تصميم مخطط الأحفورة، بإيحاءات بصرية تم توظيفها بعناية؛ لتحويل أمبيلوسيتوس البري إلي حيوان سباح، حيث أظهرت شبكات وهمية بين مخالب الحيوان، تمامًا كما فعلت دورية الأكاديمية الوطنية للعلوم و(**كينيث ميلر**) في كتابه، وجعلت الأرجل الخلفية تبدو وكأنها أرجل كسيحة على الأرض لا يمكن أن تساعده على المشي، بل تعمل كزعانف.(١٢)

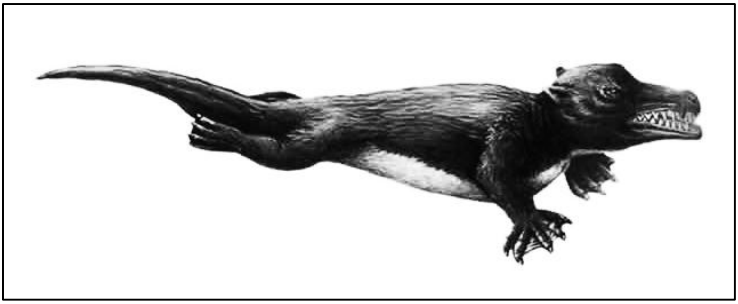

وبالرغم من تأكيد (كارول) في إعادة التعمير –الأكثر معقولية وقبولًا– أنه كان حيوانا يمتلك أرجلًا قوية يستخدمها في المشي، لكن يبدو أن أنصار التطور يبحثون عن أي سبيل لتأكيد فكرة الحلقات الوسيطة، ولو بالتحايل والخداع البصري.(١٣)

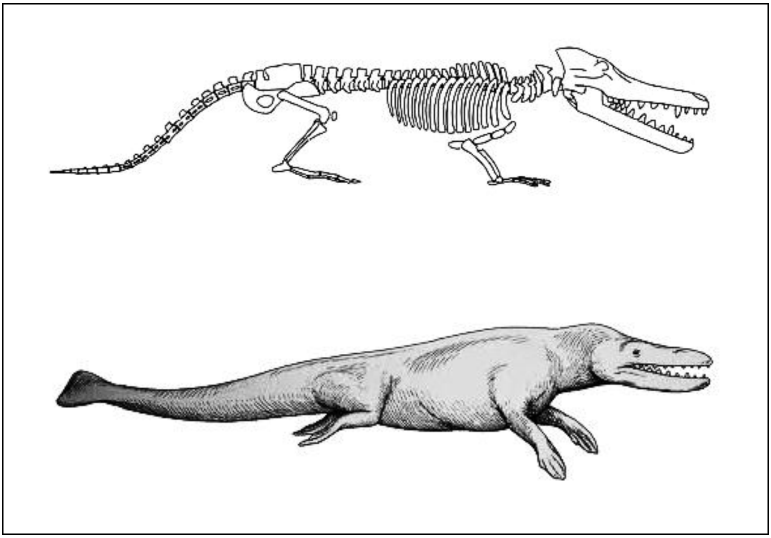

ثالثا: رودهوكيتوس Rodhocetus

المرشح الثالث حسب الترتيب الزمنى للحلقات الوسيطة بين الثدييات البرية والحوت هو رودهوكيتوس Rodhocetus، ويُصوّر في المتاحف والكتب المدرسية كمخلوق لديه ميزات جوهرية للتحول من حيوان بري إلى حيوان بحري؛ حيث لوحظ تشكل الساقين إلى ما يشبه الزعانف، ونمو الذيل الشبيه بذيل الحوت.

مخطط: الرسوم التوضيحية للأكاديمية الوطنية للعلوم NAS.

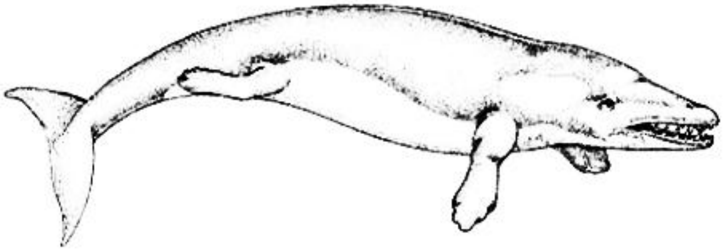

أثناء تصوير الفيلم الوثائقي عن التطور (تجربة عظيمة)، لاحظ الدكتور كارل فيرنر، القائم على التوثيق، تباين العرض الأحفوري للحيوان بجامعة ميشيغان والحفريات الفعلية، خاصة مع عدم وجود أيّة

أحافير تظهر الذيل أو الزعانف، وهي الأشياء ذاتها التي يتم استخدامها كدليل على أن هذا المخلوق هو الحلقة المفقودة في تطور الحيتان.

ولمناقشة تلك الإشكالية، قام (**فيرنر**) بإجراء مقابلة مع **جنجريتش** العا لم المسئول عن اكتشاف وإعادة بناء رودهوكيتوس، وكان الدكتور **جنجريتش** قد روج لفكرة أن رودهوكيتوس كان يمتلك ذيلًا بدائيًّا للحوت. كانت المفاجأة في رده على سؤال فيرنر حول كيفية تخمين ذلك النوع من الذيل بدون وجود عظام تدعم الفكرة، بتأكيده أنها مجرد تكهنات.(١٤) بل اعترف جنجريتش أيضًا أن الزعانف قد تم تخمينها، دون وجود أدلة داعمة من العظام.(١٥)

ونشاهد في الدقيقة (٧:٤٠) من الفيديو **جنجريتش** وهو يعترف أن الصور المتعلقة برودهوكيتوس –مثل الذيل– هي صورة متخيلة.(١٦)

الحقيقة أن هذه هي العظام التي تم العثور عليها كما يظهرها المرجع الشهير (**كامبل**).(١٧)

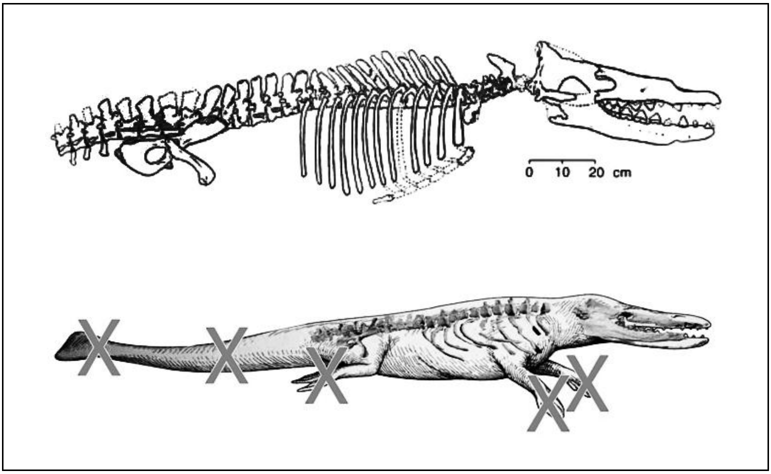

المزيد من العروض المضللة

من العروض المضللة للأسلاف المزعومة للحوت أيضًا، ما نشرته الأكاديمية الوطنية للعلوم NAS من مخطط يوضح تسلسل التطور للحيتان، والذي يتضمن: Mesonychid التي تعيش في الأرض، يليها أمبيلوسيتوس و رودهوكيتوس وباسيلوسورس Basilosaurus، على الرغم من أن تقديرات المؤلفات العلمية تقول إن أطوال كل من أمبيلوسيتوس ورودهوكيتوس حوالي سبعة إلى تسعة أقدام، مقابل طول يقدر بحوالي ٧٠ قدما في باسيلوسورس، إلا أن كتيب NAS أظهر جميع العينات الأربع على أنها بنفس الحجم، دون أن ينوه حتى في

الحاشية –للتوضيح– أنه قد تم اختيارهم من الحجم الكبير! ومثل هذه الأخطاء لا يقع فيها مبتدئ في دراسة وعرض الأحافير، مما يثير الشك في كونها تدليسًا متعمدًا.(١٨)

تابعوا معنا فيديو الدكتور (تيري مورتنسن)، يبين فيه جانبا من مشاكل ترميم الأحافير السابقة، ويعرض مفاجآت وسط استغراب الحاضرين.(١٩)

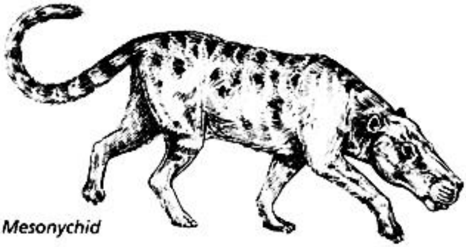

Mesonychid

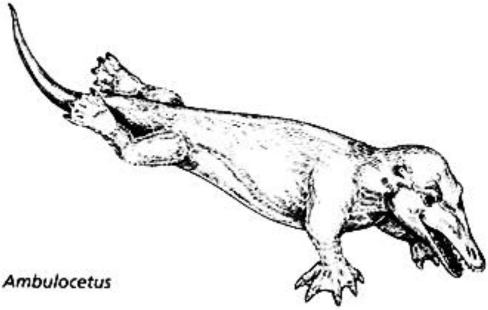

Ambulocetus

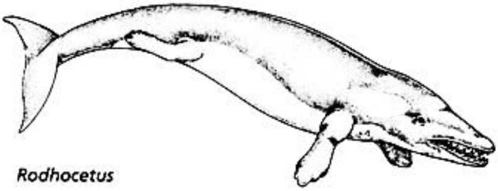

Rodhocetus

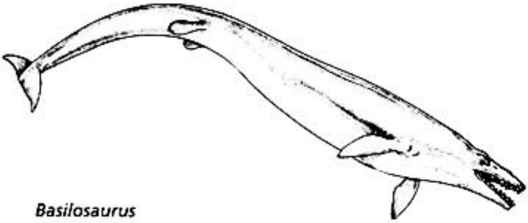

Basilosaurus

ملخص ما سبق:

لجأ أنصار التطور إلى نوع من التضليل في بناء المخططات الكاملة لأنواع منقرضة، بناءً على ما تمّ العثور عليه من بعض عظامها، وذلك لتبدو أشبه بحلقة وسيطة بين أنواع مختلفة؛ لدعم أفكارهم.

وكما هو معهود، فإن خيال الفنان الموجه هو اللاعب الأساس في ترميم ورسم المخططات الكاملة لأغلب الحفريات، لتبدو للمشاهد كأنها تمثل حلقة وسيطة فعلًا، ودون اعتماد أية معطيات علمية حقيقية داعمة لهذه الرسوم المنشورة، وبمجرد أن ننظر نظرة متأنية في سجل أحافير الحوت سندرك هذه الحقيقة للأسف، إذ لا بأس عندهم من وضع عشرات المؤثرات البصرية لترسيخ الفكرة؛ فهنا جانب من مغامرات الصيد:

وهنا قليل من حنان الأمومة:

وهكذا، حتى نقبل الوهم ونصدقه!

لكن دعونا نتخطى ذلك، ونفترض أن تلك الأحافير كانت سليمة وكاملة حقا، فهل يمكن أن تدل على علاقة تطورية فعلية؟

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الفهرس

مقدمة ١٠

قصة تطور الحوت ١٠

الإشكالية الأولى: هل سجل الحفريات دليل على التطور؟.. ١٧

– للخروج من المأزق ٢٠

– ملخص ما سبق ٢٦

الإشكالية الثانية: هل تبدو النماذج الانتقالية المعروضة والرسوم تمثيلا حقيقيًّا للأحافير التي عثر عليها؟ ٢٧

– أولا: باكيسيتوس ٢٨

– ثانيًا: أمبيلوسيتوس ٣٤

– ثالثا: رودهوكيتوس ٣٩

الموضوع	الصفحة

– ملخص ما سبق ٤٤

الإشكالية الثالثة: السجل الأحفوري ومتاهة الليجو ٤٧

– للخروج من المأزق ٥٧

– متاهة الليجو ٦١

– ملخص ما سبق ٦٨

الإشكالية الرابعة: تناقض بيانات السجل الأحفوري مع البيانات الجزيئية، وإشكالية النسب المجهول ٧٠

– ملخص ما سبق ٨١

الإشكالية الخامسة: معضلة الإطار الزمني لتطور الحوت .. ٨٢

الخاتمة ٩٢

المراجع ٩٤

الفهرس ١٢٥

لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية

for Studying Atheism and Contemporary Issues of Faith